الفصل الرابع

نسيب عريضة الصحفي

١ ــ « الفنون »

٢ ــ « السائح » ودوريا ت أخرى

الجزء الاول حزيران سنة ١٩١٦ السنة الثانية

A

صفحة الغلاف الداخلي لمجلة « الفنون »

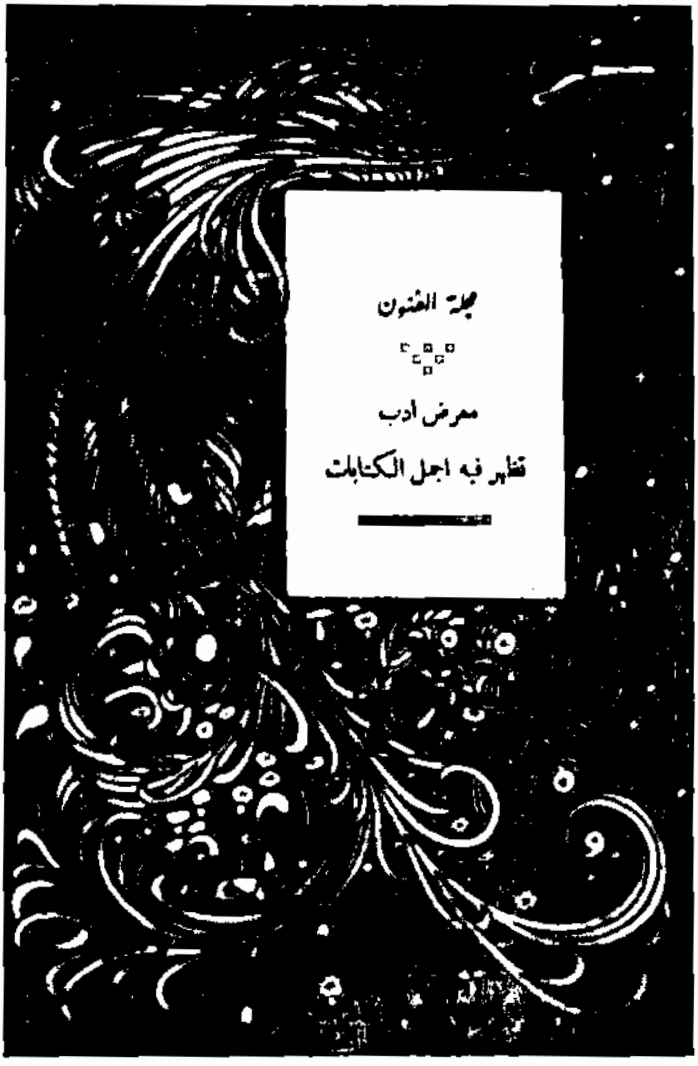

صفحة الغلاف الخارجي لمجلة « الفنون »

الحالة المسيطرة على مزاج نسيب ، وتشاؤمه ووحدته ؛ ابتعاداً عن مشاكل الحياة اليومية إلى عالم من الذاتية ، أى فى اتجاه الهروب . وهذه الملامح فى طبيعته امتزجت جيداً مع نغمة الحزن وطبيعة الكآبة التى سيطرت على الكثيرين من الشعراء والكتاب الروس ، الذين وقع نسيب تحت تأثيرهم عندما كان حدثاً ثم شاباً يحاول أن يتحرر من القلق ومتاعب الحياة . فى قطعة النوم والمنية مثلا ، يرى الكاتب الروسى ، سواوغوب أن العالم الذى نحن فيه عالم شرير وقبيح ، والحل الوحيد للإنسان أن يتراجع أو يهرب إلى عالم من الأحلام ، عالم من الانسجام والهدوء . وفى قطعة أخرى من الشعر الحر بعنوان « الموت » ، لزعيم الحركة الرمزية فى الأدب الروسى الكاتب مرشكوفسكى Merezshkovsky ، يشجع الكاتب على الترحيب بالموت ، كأفضل هبة منحتنا إياها الطبيعة . وهو يرى أن طهارة الجسم وطهارة الروح يجب أن تجتمعا وتتم إحداهما الأخرى ، حتى نصل إلى هدف التاريخ البشرى .

وفى العدد الأول مقالة بقلم مكسيم جوركى بعنوان « الماء وأهميته للطبيعة وحياة الإنسان » يخيل للقارئ أنها مقالة علمية ، بينما هى فى الحقيقة عرض لإحدى نظرياته الغامضة فى الفلسفة البشرية ، التى لا تصل بالإنسان إلى أى مكان . وله مقالة أخرى بعنوان « الألم » مليئة بالكآبة التى تناسب عنوانها .

هذه قلة من المقالات العديدة والقصائد التى تعكس انشغال المحرر بالمسائل الروحية والاتجاه المتشائم فى أفكاره . وبرغم أن موضوع « الموت » قد ملأ أعداد الفنون إلا أن الكآبة ليست هى الصفحة الطاغية على المجلة ؛ فمع نمو انتشار المجلة بدأت الترجمات تفسح الطريق لكتابات جديدة من أقلام الكتاب العرب ، سواء فى الموضوعات الاجتماعية أو العلمية أو التاريخية وكلها كانت تناقش بأسلوب نثرى مبسط . نجد فى العدد الثالث سنة ١٩١٣ مثلا ، موضوعاً بقلم نظمى نسيم جعل عنوانه : « حديث عن المرأة » وكتبه بأسلوب اجتماعى ثورى جديد ؛ فهو يشجع تحرر المرأة العربية ويقول : « فى التقاليد أن كل الملائكة من الذكور ولا توجد فى التوراة ولا فى القرآن

كلمة عن ملاك من الأناث ، ولكنني لو ذهبت إلى الجنة ووجدتها مملوءة بالرجال فقط ، قطعاً سأبحث عن مكان آخر » وفى العدد السادس سنة ١٩١٣ مقال عن « المرأة والحب » جاء فيه ما معناه : كيف يمكن للمرأة أن تحب حبًّا حقيقيًّا مادامت تعلم أنها فى نظر الرجل ليست سوى حيوان أو شيء يملكه الرجل ؟ وفى العدد السابع سنة ١٩١٦ مقال عن « أزياء النساء » وفى العدد الثالث سنة ١٩١٦ مقالة بعنوان « الجنة » ، وهى عبارة عن موضوع اجتماعى دينى تبحث فيه أيديولوجية الجنة عند كثير من الأمم وفى مختلف الأديان .

وكانت كل هذه المواضيع الاجتماعية ، إلى جانب فائدتها ، مسلية ومكتوبة بأسلوب شيق واضح.

وانتشرت الموضوعات العلمية خلال أعداد المجلة من مثل : مقال فى تاريخ الطب أو التدخين والمدخنون الشبان ، فى العدد الثالث سنة ١٩١٣ . ثم فى نفس العدد أهمية اللحوم فى تغذيتنا ، وكذلك : نظرة جديدة فى كمية النوم اللازم للإنسان ، فى العدد الثانى سنة ١٩١٣ ، وموضوع القبة الزرقاء فى العدد التاسع سنة ١٩١٧ .

ظهر اسم ميخائيل نعيمة لأول مرة فى العدد الخامس سنة ١٩١٣ تحت مقالته النقدية التى بعنوان « الحُباحب » ؛ وهو كناقد كان متقدماً ذوق جيله . وكان غرضه مساعدة القارئ فى تذوق ما فى القطعة الأدبية من نواحى الجمال ؛ وهو بهذا يساعد فى نهضة التربية الفنية وتمو ذوق القراء والمؤلفين أيضاً ، وتتميز كتابات نعيمة بأسلوب طبيعى واضح يعطى مقالاته رشاقة وسهولة . وإلى جانب مقالته عن « الشعر والشعراء ومقالاته النقدية فى الأعداد ؛ الثامن والتاسع لسنة ١٩١٣ ، والأول والثالث لسنة ١٩١٦ ، ساهم نعيمة بقصته القصيرة « العاقر» التى جاءت مؤثرة بما منحها نعيمة من أوصاف حقيقية لنظرة المجتمع اللبنانى ، فى ذلك الوقت ، إلى المرأة التى لا تنجب . وينجذب القارئ بالرقة الأخاذة التى يصور بها الكاتب هذا الموضوع . ثم كتب نعيمة مسرحية

« الآباء والبنون » طبعت مسلسلة فى الأعداد : السابع والثامن والتاسع والعاشر والحادى عشر لسنة ١٩١٦ و ١٩١٧ ، جعل مقدمتها عبارة عن محاولة جريئة فى معالجة المشاكل التى تواجه المسرحيات النثرية العربية الاجتماعية . وموضوعها هو المسألة الأزلية التى تعرض الفروق والمشكلات التى تنشأ بين الجيل الجديد والجيل القديم . إن نعيمة يجسد روح جيله ، وتعتبر المسرحية تعبيراً صادقاً عن المشاكل التى تواجه الفريقين وفيها محاولة لإيجاد الحل . ولقد كان لهذه المسرحية تأثير واضح فى الكتّاب العرب المعاصرين فى لبنان ومصر.

وهناك رواية اجتماعية ظهرت مسلسلة فى أعداد الفنون هى « زنبقة الغور» لأمين الريحانى .

ومما أعطى المجلة تلويناً جديداً ومدى أوسع ،وجود مختلف الأخبار الحديثة، والنوادر المسلية ، والصور اللطيفة ، والأمثـــال ، وغيرها مما يعجب ، القراء ويلذ للمشتركين . ولكن الإعجاب والتقدير لم يفيدا كثيراً ، فقد حدث التدهور فى الأحوال المالية ، ففى بداية الحرب العالمية الأولى ، انضم الكثيرون من القراء إلى الجندية ، وتقاعس الآخرون عن دفع اشتراكاتهم ، بالإضافة إلى ارتفاع أسعار الورق والحبر وأدوات الطباعة ، مما تسبب فى توقف صدور الفنون مؤقتاً . وكانت هذه الفترة هى أسوأ الشهور فى حياة نسيب ، فقد سيطر عليه اليأس ، ووصف نفسه فى رسالة إلى صديقه نعيمة بأنه سفينة منكوبة .

ولكن نسيباً لم يتوقف عن العمل ، فقد شغل نفسه بالكتابة فى صحيفة « السائح » التى كان يحررها صديقه وابن بلدته عبد المسيح حداد . كما انضم إلى جمعية « سوريا الحرة » شبه السياسية ، وكان يبدو لفترة ما سعيداً وراضياً بوجوده مع صديقيه نعيمه وجبران ، اللذين كانا عضوين فى الجمعية ، ولكنه سرعان ما وجد نفسه غريباً بينهم ، وبدأت فكرة إحياء الفنون ، تسيطر عليه من جديد .

عادت « الفنون » إلى الظهور فى يونيه سنة١٩١٦ . وعبر نسيب عن سعادته

العميقة وآماله فى المستقبل وذلك فى رسالة إلى صديقه ميخائيل ، وعندما وصل العدد الأول من ذلك العام إلى نعيمة ، قدر كثيراً الجهد المدهش الذى بذله نسيب برغم كل الصعوبات وقرر العودة إلى نيويورك فى الحال ، ليساعد صديقه بكتابات مستمرة فى المجلة .

ومن ذلك الحين ، حتى العدد الأخير من الفنون تقريباً ، نجد أكثر الاعتماد فيها على أسماء جبران ونعيمة والريحانى ، فثلاثتهم ساهموا بكتاباتهم فى الموضوعات الأدبية المتنوعة . وظهرت فيها أسماء : رشيد أيوب وأمين مشرق ووليم كاتسفليس وإيليا أبى ماضى ، كما قلّت الترجمات بالنسبة للمقالات المكتوبة ولكنها لم تخلُ من الترجمات لكتّاب مشهورين أمثال : نيتشه الكاتب الألمانى وتورجنيف الروائى الروسى العظيم ، والكاتب المسرحى تشيكوف والشاعر بالمونث ، والروائى الفرنسى أناتول فرانس ، والشاعر الرومانسى شارل بودلير ، وزعيم القصة القصيرة جى دى موباسان ، والكاتب الإنجليزى أوسكار وايلد ، والشاعر الأمريكى ناثانيل هوثورن ، هذا إلى جانب المختارات المترجمة من الأعمال الأدبية الإيطالية والإسبانية والبولندية والأرمنية ، مما نجده منتشراً فى أعداد « الفنون » .

لقد لقيت عودة « الفنون » ترحيباً حارًّا من قرائها ، وظهرت كلمات التشجيع والتقدير فى مختلف الصحف والمجلات فى الولايات المتحدة ، وفى أمريكا الجنوبية ، وفى كثير من البلاد العربية فى الشرق . وأخذت الرسائل الشخصية من كتاب بارزين فى العالم العربى تشيد بفضائل « الفنون » وخُصصت زاوية من المجلة لنشر آراء القراء وتعليقات الصحف تحت عنوان : « كيف استقبلت الفنون » وكانت هذه الفترة من أسعد الفترات فى حياة نسيب فلم يضع جهده سدى ، وبتوارد المقالات الجديدة قل مجهوده فى الترجمة ، وساهم بكتابات نثرية وشعرية ، وكتب قصة « ديك الجن الحمصى » .

فى أكتوبر سنة ١٩١٦ صدر عدد خاص من الفنون يصور محنة سوريا. كتب فيه جبران مقالة عاطفية مؤثرة جعل عنوانها « مات أهلى » ورسم صورتين

إحداهما لامرأة جائعة تستجدى الطعام والثانية لوجه امرأة هزيل شاحب كرمز لكل الأمة السورية . وكتب فيه نعيمة مقالته : « مهرجان الموت » وظهرت فيه قصيدتان عاطفيتان لرشيد أيوب وموشح لإيليا أبى ماضى ، ومقالة عن الجوع بقلم الريحانى ، وبجانب الترجمات المناسبة ، كتب نسيب مقالته الأخاذة « أنة العاجز » واستعرض فى مقالة أخرى كل المصائب التى مرت بها سوريا خلال العصور . ويختم العدد بذكر الخطوات التى اتخذها المهاجرون لنجدة أبناء بلادهم .

وحلّت بالفنون أزمة مالية أخرى أوقفتها لمدة شهرين ، وحين عادت للظهور فى أغسطس سنة ١٩١٧ بدأت باعتذار إلى القراء . وتغير شكل المجلة إذ صغر حجمها واحتوت أوراقاً أقل من السابق ، ولكنها مازالت تجاهد لتحتل مكانة أدبية ممتازة . وظهرت فيها أبيات لشاعر معروف فى أمريكا الجنوبية هو : رشيد سليم الخورى الشاعر القروى كما ظهر نقد لديوانه « الرشيديات » بقلم نعيمة .

واستمر جبران يرسل مقالاته بانتظام إلى جانب قصائده ورسوماته للشخصيات العربية المشهورة من مثل : المعتمد بن عباد وابن سينا وابن المقفع ، وبدأ نعيمة ينشر أولى رواياته « مذكرات الأرقش » ، قبل ظهورها كاملة فى مجموعة الرابطة . وساهم الريحانى بمقالات نقدية واجتماعية .

ولم يظهر من المجلة سوى أربعة أعداد قبل أن تحل بها مصيبة مالية أخرى . واضطر نسيب إلى بيع عدد نوفمبر سنة ١٩١٧ بسعر أكثر من السعر العادى بسبب ارتفاع سعر الورق ، وكان هذا نذير شؤم له ، فنهاية مجلته ليست بعيدة . وفى الشهور الخمسة التالية ، التى توقفت فيها عن الصدور ، ظل مشغولا بالتفكير فى كيفية إعادة الحياة إليها . وأخيراً فى مايو سنة ١٩١٨ تمكن من إصدار عدد جيد ، بدأه باعتذار تفصيلى بدا كسجل للمصاعب التى لاقتها المجلة ، والأسباب التى اضطرتها للاحتجاب فى الأشهر الخمسة

الماضية . وكان عليه أن يزيد من قدر المترجمات من الأدب الروسى والأدب الغربى ، وذلك لقلة من كانوا يرسلون مقالاتهم . لقد ترجم لجوركى وبوشكين وغيرهما ، وجاهد لكى يحافظ على مظهرها جذاباً ، ومحتوياتها ملذة ومفيدة . لقد نفخ فيها من روحه قدرما يستطيع .

وفى مايو سنة ١٩١٨ التحق نعيمة بالجندية ، واستند نسيب إلى جبران وبقية الكتّاب المشاركين . وفى أغسطس سنة ١٩١٨ صدر العدد الأخير من « الفنون » الذى كتب فيه نسيب قصته التى بعنوان « الحمار الأسود » ويصور فيها الأحداث الجارية فى سوريا .

وفى العدد السابق للأخير ، الذى صدر فى يوليو سنة ١٩١٨ كان هناك موضوع جديد وهدف جديد ، أهداه المحرر إلى الملك حسين الأول ، ملك الحجاز وكرست كل مقالاته لتاريخ العرب ، الحديث والقديم . وكتب فيه نسيب « قصة الصمصامة » ومقالة عن عصر العرب الذهبى فى أسبانيا . كذلك الصور والرسومات كانت للعرب وحدهم .

وعلى العموم فإن مجلة الفنون خلال حياتها القصيرة والمضطربة كانت تقابل بالترحيب من قبل المهاجرين والقراء فى العالم العربى . وكان لها تأثير هام فى نشر الأفكار وتحسين الذوق العام . ولولا حلول سنوات الحرب لكان لإنجازاتها الأدبية تأثير أكبر فى الأدب العربى . وعلى أية حال ، فإن من أفضالها الرئيسية على الأدب أنها كانت الوسيلة الأولى التى استطاع من خلالها الشعراء والكتّاب العرب فى نيويورك ، أن يلتقوا ويؤسسوا فيما بعد تلك الحركة الأدبية التى عرفت باسم « الرابطة القلمية » .

« الفارض يلقى شراب الحب »
(« عمر بن الفارض »)

الفارض

لجبران خليل جبران

••••

كان عمر بن الفارض شاعراً ربانياً . وكانت روحه الطمأنة تتنزه من حيرة الروح فتسكر في نهيه سابحة ، مرفرفة في عالم المسموعات حيث تطوف اخيلة الشعراء وأمثال الصادق وامثال المتصوفين . ثم يذهبها الصحو فتعود الى عالم المرئيات لتدون ما رأته وسمعته بلغة جميلة موزونة ، لكنها غير خالية في بعض الاحايين من ذلك التعقيد اللفظي المعروف بالبديع ، وهو في شعري ليس بالبديع

ولكن اذا وضعنا صناعة الفارض جانباً ونظرنا الى فنه المجرد وما وراء ذلك الفن من المظاهر النفسية وجدناه كاملاً في هيكل الفكر المطلق ، اميراً في دولة الخيال الوسيع ، قائداً في جيش المتصوفين العظيم — ذلك الجيش السائر بهم بطيء نحو مدينة الحق ، المتغلب في طريقه على صغائر الحياة ونوافيها ، المحدق ابداً ببهية الحياة وجلالها .

وقد عاش الفارض في زمن خالٍ من التوحيد الفني والاتحاد النفسي

زمانه ، ولكن من الغرائب ان تكون مظهراً لرجل صرف عمره مستقصياً اسرار الاجسام ومزايا الهيولي . فكأنه قد بلغ خفايا الروح عن طريق المادة وادراك مكنونات المعقولات بواسطة المرئيات فجاءت قصيدته هذه برهاناً نيراً على ان العلم هو حياة العقل يتدرج بصاحبه من الاختبارات الحسية — الى النظريات العقلية — الى الشعور الروحي — الى الله

قد يجد المطالع في ما نظمه كبار شعراء الغربيين مقاطع متفرقة تذكره بهذه القصيدة السامية . ففي روايات شكسبير الخالدة ابيات لا تكشف بمعانيها عن قول ابن سينا :

وصلت على كره اليك وربما ... كرهت فراقك وهي ذات تمنع
وليالي تحوال تشلي ما بسائلي ... عجمت وقد كشف الضلال فاقصرت
وليالي تأملات نفسي ما يضارع ... ما ليس يدرك بالعيون الهجع
ونهوض علة بكل خفية ... في العالمين فخرقها لم يرفع
وليالي ما قاله برلوين ما يضاهي ... فكأنها برق تألق بالحمى
ثم انطوى فكأنه لم يلمع

ولكن الشيخ الرئيس قد تقدم جميع هؤلاء بقرون عديدة . فوضع في قصيدة واحدة ما هبط بصور متقطعة على افكار محللة في الامة محللة . وهذا ما يجعله نابغة لعصره وللعصور التي جاءت بعده ، ويجعل قصيدته في الغرض أبعد واشرف ما نظم في أشرف وأبعد موضوع

ابن سينا
◄ لجبران خليل جبران ►

صفحتان من مجلة « الفنون »

٢

السائح ودوريات أخرى

كانت نهاية « الفنون » ضربة قاسية لنسيب وزملائه الكتاب . لقد تشاركوا جميعاً فى تحمل الأسى والخسارة . وأخذ عبد المسيح حداد يشجع نسيباً على نشر مقالاته وقصائده فى صحيفته، وكان قد فعل نفس الشىء أثناء توقف « الفنون » وفى السنوات التالية نشر نسيب أيضاً فى صحيفة « مرآة الغرب » التى أصبح محرراً لها ، ثم انتقل إلى الهدى . وكان له فى هاتين الصحيفتين ، إلى جانب السائح ، متنفس لأفكاره ومشاعره العميقة .

وكانت الأعداد السنوية من « السائح الممتاز » معرضاً ممتازاً لأحسن أعمال أعضاء الرابطة القلمية . لقد نشر نسيب الكثير من مقالاته وقصائده وقصصه فى هذه الأعداد ، ووصله التفريظ عليها من القراء والنقاد . ظهرت قصيدتاه الطويلتان : على « طريق إرم » و « احتضار أبى فراس » لأول مرة فى عددى السائح لسنة ١٩٢٥ وسنة ١٩٢٧ على التوالى . وفى الأعداد السابقة والتالية لهما ظهر الكثير من شعره ونثره ، بالإضافة إلى ما كان يخط من حكم وأمثال بين حين وآخر .